

# لمحات من جهاد الامام علي (ع)

وسيرة المقداد وأبي ذر وعمار

بقلم : الدكتور حسين أمين

تاريخنا صفحة مشرفة ، في سطورها آيات واضحات من المواقف الرائعات التي نجلت بالاعمال الخالدة والغايات الشريفة النبيلة من لدن الشخصيات الغذة الذين برزوا على مسرح التاريخ الاسلامي .

من شخصيات تاريخنا العظام ، ومن سادات امتنا الكرام ، رجل عرف بالشجاعة الكبيرة واشتهر بالسجايا الانسانية الطيبة ، من الرعيل الاول ومن بناء التاريخ المجيد ، ولا يزال اسمه مضرباً للصفات الكريمة ومواقفه العظيمة رمزا للبطولة والتضحية والغذاء ذاكم الصحابي الجليل والمؤمن الحر النبيل والامام الامثل سيدنا علي بن ابي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم ( عليه السلام ) .

ولد الامام علي عليه السلام داخل البيت الحرام ، وشب في بيت النبوة ، يرتشف من مناهل الرسالة معاينها السامية وينتمل من ينابيع النبوة المثل السامية والمبادئ الاسلامية النبيلة . قيل : انه دع ، أسلم في السنة الثامنة من عمره فكان اول صبي اسلم في الاسلام ، وتغلغل المبادئ الاسلامية باصولها الحقة وافكارها الواضحة الى قلب ( علي ) واستقرت في وجدانه واصبحت جزءا مكينا من حياته وتفكيره ، وتما وترعرع ومبادئ القرآن تزيده نورا على نور و اخلاق الرسول ( ص ) وآدابه تضي عليه دع ، سموا على سموه ومنحه الله قوة في العقل وقوة في الجسم وقوة في النفس ، فنشأ مثالا للكامل الانساني ، وتزوج من ابنة الرسول الكريم فاطمة الزهراء عليها السلام ورزق منها الحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم .

إن الدعوة الاسلامية ، هي دعوة نبيلة ، استهدفت انتشال الانسانية من برائن العبودية والجهل ومن مهاوى الضلال والطغيان فايدها واقتنع بمبادئها وآمن بمحتواها

كل ذى عقل سليم وقلب صادق رحيم وشعور انساني نبيل ، والامام علي بن ابي طالب ( ع ) وكان أول مؤمن في الاسلام ، تلقف العلم من فم النبي الكريم اولا باول ، وتفتحت عينه في منزل الوحي ، بين ترانيل القرآن الكريم في بدء نزوله ، وصلاة المؤمنين في اوائل اسلامهم ، وصاحب النبي الكريم في داره — الشريعة وتحسس باحاسيسه ، في افراحه واثراحه ، وتلس خفقات قلوب المؤمنين القانين الذين كانوا يتوسسون الخوف والخطر من اهداء الاسلام ، فنشأ نشأة طيبة ملؤها الايمان بالله ورسوله والاخلاص للمبادئ السامية والصبور أمام اعداء الذين بلاخوف او وجل ، والدعوة الى الحق والتضحية من اجل اعلام كلية الإسلام ونصرة المسلمين . . . نشأ علي بن ابي طالب هذه النشأة الكريمة ، وجعلت من الامام علي شخصية مثالية عاشت من اجل المثل العليا ودافعت من اجل احقاق الحق وضحت من اجل تبقي المبادئ السامية خالدة حية الى ابد الابد لان ذلك لان عاليا بحق المسلم الخالص على سجيته المثل ، وان دين محمد لم يعرف قط اصدق اسلاما منه ولا اعرق نفاذاً فيه . كان مسلماً حقاً في عبادته وفي عمله وعمله وعقله وفي اقدامه وتصميمه وفي حبه لاهله وبني امته .

ولم اجد في صفحات التاريخ الاسلامي ، انصح صفحة واطمّر ذكرأ وازكى عملا ، من صفحة الامام علي بن ابي طالب ( ع ) ، صفحة مشرقة واضحة جليلة ، باحرف من نور تشع بكل ذكر جليل وتفوخ بكل ذكر جميل ، وتطق بكل عمل خير نبيل . فكان ( ع ) والحق عنوانا لكل بطل شهيم ابي ، ومثالا لكل انسان كريم ، وقدوة مؤمن صالح مستقيم ونهجاً لكل عالم متبحر .

ولم تلس في صفحات التاريخ الاسلامي ، اكثر تضحية واشد اقداما واقوى عزيمة وتصميماً في الدفاع عن مبادئ الاسلام وجهاد المشركين والكافرين غير الامام علي ( ع ) كثيرة وعديدة .

لقد نشب صراع عنيف بين قريش والمسلمين ، ولا يخفى ان المسلمين في بادى أمرهم قلة تغد الاصابع ، كانوا ثلاثة محمد وخديجة وعلي ، ثم اسلم زيد بن حارثة ، ثم تعاقب الناس فرادى يبايعون النبي محمد (ص) باسلامهم ، حتى صاروا اربعين مسلماً مؤمناً

يَجْتَمِعُونَ خَفِيَةً فِي دَارِ الْارْقَمِ بْنِ الْارْقَمِ ( رضى ) وبعد ان احست قريش بدعوة محمد  
الاسلامية ، اعلنت عليه وعلى اصحابه حرباً شديدة واضطهاداً كبيراً ، انتهى بهجرته  
( عليه السلام ) الى يثرب تاركاً علياً في فراشه ليموه على قريش وايقوت عليهم الفرصة  
ومن ثم تصفية اموره ( ص ) في مكة واللحاق به بعد فترة ، وكان منام الامام على مكان  
الرسول تضحية جليلة سجاها التاريخ للامام باحرف من نور وانها امرى ان دلت انما  
تدل على قوة في الارادة وصلابة في العقيدة والمبدأ وطاعة عظيمة للرسول الكريم .

وهاجر الامام على ( ع ) الى يثرب والتقى هناك باخوانه المسلمين واسمهم من المؤمنين  
جهادهم من اجل اعلاء كلمة الله ، واكن امرى اى جهاد ذلك الذى خاضه سيدنا على ( ع )  
وانى اعود فاقول ، حقا اننى لم اجد فى اخبار التاريخ قديمة وحديثة ، تظيراً ومثيلاً لمثل ذلك  
الجهاد العنيف والاقدام الرائع والتضحية العالية بالنفس والنفيس ، فكان الامام على ابن  
ابى طالب ( ع ) سبباً من اسباب النصر للمسلمين فى معاركهم الخالدة ، فضرباته الصلدة  
وسيفه البتار واقدامه الجبار وصيخته الرهيبة ، بواعث الفزع ومنازل الهلع على كل مشرك  
ايمى وانخذال وهلاك لكل جبار عنيد ، فهذا هو الامام الفذ فى معركة بدر الكبرى  
يصول بسيفه ، ينزل به على رؤوس الكفر ، وصرع فى تلك المعركة بطل قريش الكبير  
وقارسها المرجى الوليد بن عتبة ؛ وهل عرفت سيدى القارىء ان علياً قضى على كثير  
من رؤوس الشرك فى هذه المعركة الخالدة ، فحقاً ان معركة بدر معركة الاسلام المجيدة هى  
سجل الشرف لبطلنا العظيم على بن ابى طالب ، فقد قتل الامام فى هذه المعركة التى استمرت  
سويعات من النهار اجل قتل كبار قريش المشركين المعتمدين الاثمين منهم - العاص بن سعيد  
- بن العاص بن امية ، وعقبة بن ابى معيط ، وطعيمه بن عدى بن نوفل وعامر بن  
عبد الله ونوفل بن خويلد بن اسد وكان يعرف بشيطان قريش ( وكان نوفل هذا قد قرن  
ابا بكر وطلحة بن عبد الله حين اسلامى حبل ) وقتل الامام أيضاً النضر بن الحارث بن كلدة  
بن علقمة ، وعمير بن عثمان بن عمرو بن كعب ، وابا قيس بن الفاكة بن المغيرة ، وعبد  
الله ابن المنذر بن ابى رفاعه بن عابد وحاجب بن السائب ، وابا  
العاص ابن قيس بن عدى بن سعد واوس بن مغيرة بن لوزان بن سعد بن جمح ومعاوية بن عامر

انها ابطولة فريدة وشجاعة نادرة ولجهاد عظيم وانها والحق لنهصر من الله واعزاز من الخالق الكريم و وكان الامام في احد مجاهدا عنيفا يصد الضربات عن الرسول الكريم وينزل بسيفه المبارك المنازل على رؤوس المشركين، وفي الخندق حيث النصر المبين حققه الله العلي القدير على يد علي امير المؤمنين، وانني لا اعتبر انتصار الامام على غر بمة عمر و بن عبد ود العاصري اساس النصر الاسلام ذلك لان هلاك هذا البطل الكبير الذي اعدته قريش لهذا اليوم كان له موقمه الكبير في نفوس قريش وامات وروحم المعنوية وجعلهم في حيرة واضطراب . هذه هي بعض مواقف الامام موجزة مختصرة ، وان اردنا تعداد مراقفه (ع) في الدفاع والجهاد من اجل رفع راية الاسلام لوقفنا ساعات طوال نذكر تلك السيرة العطرة والتي تعلق باريج البطولة وتفوح بزكي المائر الخالدة .

ان بطولة الامام وشجاعته واقدامه ، على ما ارى نتيجة حتمية لثقتة بنفسه واعتزازه بايمانه ابدا بنصرة الله عز وجل له في كل نزال ، لانه يدافع عن الحق ورائده الحق ويسعى دوما لاعلاء كلمة الحق ، والحق يعلمو ابدا ولا يعلم عليه .

والامام علي (ع) على جانب عظيم من غزارة العلم ودرجة كبيرة من رجاحة العقل قال (ص) انا مدينة العلم وعلي بابها ، وكان خطيبا مفوها ذا بيان بديع واسلوب عربي اصيل .

والامام علي من ازهد الصحابة واعفهم واشدهم في تطبيق مبادئ العدالة الاسلامية واحرصهم على اموال الامة . .

والامام علي يمثل الفكر الاسلامي اصدق تمثيل ، ويعكس الروحانية الاسلامية في اخلاصها وصدقها وانسانيتها بشكل واضح جلي .

قال امام علي مؤمن مسلم حق الايمان وصدق الاسلام ، روى ابن حجر العسقلاني عن مسند احمد بن حنبل عن علي قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك قال : ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة وان تؤمروا عمر تجدوه قويا امينا لا يخاف في الله لومة لائم وان تؤمروا عليا وما اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا ياخذ بكم الطريق المستقيم ، واخرج الترمذي باسناد قوي عن عمران بن حصين قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما تريدون من علي إن عليا مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي .

ان اشارة الرسول الكريم الى ولاية علي (ع) وردت في احاديث كثيرة ، وان هذه الولاية وقعت بالنصر وهناك شهود من الصحابة في حقيقة وقوعها والنطق بها ولولا ان الرسول الذي لا ينطق عن الهوى يعلم حق العلم ان عليا له من الميزات والكماليات ما يؤهله لذلك المنصب ما نطق الرسول بولايته (ع) والنص على ذلك في اكثر من موقع وايراده في اكثر من حديث .

والرجل ، انصار ومؤيدون ، اعجبوا به ايما اعجاب وتأثروا باخلاقه السامية ، انها والحق لاخلاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووجدوا فيه الانسان المؤمن الشجاع المحب للانسان والساعي الى الخير والمناضل ابدا من اجل احقاق الحق وتطبيق العدل ، وليكننا نلاحظ ان معظم انصاره ومؤيديه من المؤمنين القانتين والزهاد الناسكين ومن الفقراء المعدمين من اولئك الذين لو عتهم ايام الظلم والطغيان واثنختهم بجراحها سيات اشرف قريش ، اولئك الذين احبوا محمداً وآمنوا بالاسلام ديناً وطريقاً ، ووجدوا في علي بن ابي طالب بعد وفاة الرسول (ص) البقية الخالدة من تراث محمد والشعلة الوضاعة التي تنير الطريق المستقيم لكل من يزيد الهداية والحياة الشريفة النبيلة وراحة الضمير .

والذين ناصروا علي بن ابي طالب كثيرون ، جلهم من الصحابة الكبار ، من الرواد الاوائل الذين جاهدوا في سبيل الله من اجل ان تبقى راية الاسلام عالية خفاقة ومن اجل تثبيت الحق ومن اجل ان تصود العدالة في المجتمع الانساني ، اجل ان الذين ناصروا علياً جلهم من المسلمين الاولين من الذين وقفوا الى جانب الرسول العظيم وآمنوا بالله الواحد الاحد وآمنوا بالرسالة المحمدية واستقرت تلك المبادئ في نفوسهم وذابت في عروقهم ، فكانوا والحق الرعيل الاول لحلة الرسالة وكانوا والحق المشعل المنير لطريق الانسانية وكانوا والحق المثل الرائع في الثبات على المبدأ والدفع عن مبادئ الدين الحنيف .

انهم جميعاً انصار محمد ، تعلموا في مدرسة النبوة وانتملوا من فم الرسول الكريم معاني الرسالة للخالدة . . . وقد وجد هؤلاء المؤمنون انهم آمنوا بالحق ورسالتهم

الدفاع عن الحق ، فالرسول محمد حق ، وموته حق وإن عليا وريثه حقاً فنصرته حق ووجهه حق ، قال (ص) يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .  
 إن المؤمنين جميعاً هم انصار الامام علي . وما انى انقب مصادر التاريخ ومراجعته واقبل أخباره ووقائعه ، واقدارس رجاله وأمله ، ابحت عن انصار الامام هل واحبائه فاذا بي امام نخبية ، اممرى أى نخبية إنها أحبت الله ورسوله وآمنت بالواحد الاحد وجاهدت من أجل اعلاء كلمة الحق ، وتزاحمت الاسماء امامى ، وتمحيرت في أيهم الاحب والاكثر نصرة وأيهم الاخلاص والاشد صحبة، وعجزت عن المفاضلة لانهم جميعاً أحبوا الامام حب العقيدة والدين ، حبا من قرارة النفس ومستقر الوجدان ، انهم مثال الصدق في النصرة وعنوان الاخلاق في الصحبة ورمز الوفاء في المحبة ودليل الاركان في اتباع الحق والدفاع عن الحق والاستشهاد من أجل الحق .

وانى اذ اقدم بعض النماذج من الشخصيات الفذة من تاريخنا المجيد من الذين سطوروا سجلا حافلا بالاعمال الخالدة وقدموا دماءهم قرباناً من اجل ان تبقى راية الاسلام هى العليا ومن اجل ان تبقى الحياة للانسان كريمة شريفة ونبيلة .  
 من اولئك الانصار الكبار ، من الذين شهدت لهم المواقف الحرجة وقفات الشهامة والبطولة من المسلمين الاولين، المقداد بن الاسود الكندي وقد هاجر الهجرتين ، وكان اول فارس في الاسلام في معركة بدر الخالدة ، وهو اول سبعة من المسلمين اظهروا اسلامهم ، وقف في معركة بدر — يخاطب الرسول الكريم : يا رسول الله انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلانا هنا قاعدون ولاكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك . وفي حديث صحيح ، قال صلى الله عليه وآله : ان الله امرنى بحب اربعة وأخبرنى أنه يحبهم على المقداد وابوذر وسليان ، ان المقداد ارتبط بعلى بروابط لا تنفصم ، رابطة الاخوة الاسلامية والسعى من أجل تحقيق مبادئ محمد وتلمس هذا الصحابي كل معاني الاخلاص لتلك المبادئ في شخصية على وصيار من انصاره المخلصين والمدافعين عن حقه والمناصرين لآل بيته الطاهرين .

وبعد تعيين عثمان بن عفان خليفة للمسلمين ، قام المقداد بن الاسود الكندي في المسجد فقال : ما رأيت مثل ما اودى به اهل هذا البيت بعد نبينهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذلك يا مقداد بن عمرو ؟ . فقال المقداد : انى والله لاجبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن ، أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس ، أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده من أيديهم ، أما وايم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقانلتهم كقتالى اباهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر .

أسلم المقداد وآمن بدين الإسلام وانتهج السبيل الذى رسمه محمد العظيم ولمس هذا الصحابى الجليل ما آلت اليه الامور من الانحرافات واستحواذ الطامعين على المناصب ورأى بأمر عينيه كيف صارت الامور للذين لم تكن لهم المؤهلات والكفايات فأعلنها حرباً على كل منحرف وضلوع ، وكان يجد في شخصية على ما هو مكين باعادة الامور الى نهجها السليم وتطبيق مبادئ الحق والعدالة ، وظل مصاحباً الامام ، ملازماً مجلسه الشريف حتى وافاه الاجل سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ودفن في المدينة المنورة . وهذا صاحب آخر من أصحاب الامام المؤمنين بحقه وعدله ، من الذين لازالت صورته حية في نفوس الاحرار الذين يتوقون ابدألى صفاء النفس ورضاء الوجدان ، انه طراز فريد من الحياة والعمل وطراز خاص من النهج والجهاد ، ذلك الرجل الذى قال فيه الرسول ( ص ) ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر ، وأبو ذر الزاهد المشهور جندى من جنادة من قبيلة بنى غفار ، سمع بشروق شمس الاسلام في مكة فغادر عشيرته ودخل مكة ، وجاء المسجد يلتمس الرسول الكريم وهو لا يعرفه كره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه الامام على ( ع ) فعرف انه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ( ص ) حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به الامام على فقال اما آن الرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب

به معه . . . وهكذا بدأت صحبة هذا الرجل في المدينة والمسلمين بشخصية الامام علي بن ابي طالب حيث وجد في شخصية الامام ، الكرم والخلق العربي الجميل كما وجد توافقاً وانسجاماً في الروح والمعنى وفي القصد وخلوص النية .

وصار ابو ذر يقضى سراً يومه في مسجد الرسول ، عاكفاً على - العبادة متمطفاً إلى الله تعالى ، معرضاً عن زخرف الدنيا وريقتها ، زاهداً فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه ، وكان إذا جن الليل اوى إلى المسجد مع ناس من أصحاب الرسول (ص) لا منازل لهم وما لهم من مأوى غيره وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، يدعوهم اليه اذا تشى فيعرفهم على اصحابه وتتشى طائفة منهم معه ، وقد كان أبو ذر من هذه الطائفة ، وقد أراد الله به خيراً ففتح له قلبه وجعل فيه اليقين والصدق وجعل قابله داعياً لما سلك فيه ، وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً ، وخليقته مستقيمة ، وجعل اذنه سميمة وعينه بصيرة فسمع من الرسول ووعى وتعلم وحفظ وحدث وروى فكان من أعظم المتحدثين وأصدقهم وحاكي الرسول في زهده فكان من أوائل الزهاد وروادهم المخلصين .

وقد ارتبط أبو ذر بالامام علي بروابط متينة لا تنفصم ، روابط قامت على حب الله وحب الرسول وحب الانسانية ، وجهاد من أجل اعلاء كلمة الحق وابتعاد عن الدنيا ومفرياتها والاستغلال وآفاته ، ومات الرسول الكريم وخرج أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة وبقي الامام علي والعباس وبعض بني هاشم يشتغلون باعداد جهاز النبي وأحسن العباس ان في الامور شيئاً وان الناس يفكرون فيمن يخلف رسول الله فالتفت إلى علي وقال له : أمدد يدك ابايعك ، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يختلف عليك اثنان فأجاب الامام علي بثقة واطمئنان : أو يطمع يا عم فيها طامع غيري ؟ فقال العباس : ستعلم .

وسمع ضرب على الباب بشدة فقال علي : من ؟ فأجاب الطارق : ابو ذر فقال الامام علي : ما هنالك ؟ قال أبو ذر : لقد بايع الناس لابني بكر . ففتح علي الباب وقال : وكيف ؟ فحكى له أبو ذر وكيف اجتمع بعض الانصار والمهاجرين في السقيفة وكيف



بابع عمر بن الخطاب أبا بكر . وصمت أبو ذر ، فطأطأ علي (ع) رأسه ، والتفت إليه العباس وقال : أما اني أمرتكم فعصيتموني ، فقال الامام علي : وما العمل ؟ فقال أبو ذر : لأجمعن المقداد وسلمان وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم وحذيفة وعمار لغري رأيا . هؤلاء الستة من أوائل المسلمين الذين ساهموا في بناء الاسس الرصينة في مجدنا الاسلامي ومن الذين صاحبوا الرسول وآمنوا بالمبادئ الاسلامية وضجروا من أجل إعلاء كلمة الله ، هؤلاء الستة عرفوا ان عليا أحق بالامر من غيره ، اجتمع هؤلاء الصحابة الاجلاء ليلا ، في الفضاء المجاور للمسجد فقال أبو ذر : ان عليا أحق الناس بالخلافة ، فعلمنا ان نعيد الامر شورى بين المهاجرين وان نقض بيعة السقيفة ، فسأل احدهم ، وكيف ذلك ؟ .

فقال أبو ذر تزعم الانصار انهم المهاجرين أولى بهذا الامر منهم الانصار ، لما كان محمد منهم قاطروهم المقادة وسلموا اليهم الامارة ، فاذن نحتج عليهم بمثل ما احتجوا على الانصار فعل أولى برسول الله حيا وميتا .

ودارت قداح الرأي بين الجميع ، وأخيراً اجتمعوا على أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين .

وأرى ان هؤلاء الانصار وغيرهم من كبار الصحابة لو نفذوا ذلك الامر لنجح رأى أبي ذر ولا يصبح على خليفة المسلمين ، ولكن الامام علي بما عرف عنه من الخلق العظيم وخوفه من اضطراب الفتنة آثر على عدم تنفيذها وترك الامر على جريانه . واستمرت صحبة أبي ذر (رض) الامام علي (ع) مدة طويلة حتى آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ، فسكت أبو ذر على مريض ، فهذه مشيئة الله وعلي لا يريد الفتنة ومكث أبو ذر في المدينة فتلس ميل عثمان إلى بني أمية وتغلغل نفوذهم من مراكز الدولة واستحوذهم على السلطة وانقلاب الحكم في عهده ملكا له مظاهر الملك من عظمة وشرف وتمهات على الدنيا ورأى كثيراً من الصحابة يتغيرون فالزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف اقتنوا الضياع والدور وابتنى سعد بن وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات ، فقام أبو ذر لا يخشى خليفة ولا يهاب اميراً

يدعو الناس إلى الزهد ويهاجم عثمان . وفي يوم هلم ان عثمان أعطى مروان ابن الحكم خمس خراج افريقية والحداد بن العاص اثمناة الف درهم ، وزيد بن ثابت مائة الف درهم . فجلس في المسجد وراح يتلوا : والذين يكفرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . وأبلغ مروان ابن الحكم ذلك إلى عثمان بن عفان ، فطلب عثمان مقابلة أبي ذر ، ودخل أبو ذر على عثمان ، فجا بهه : يا أبا ذر أنت تعلم عما يبلغني منك ، وما بلغك عني يا أمير المؤمنين ؟ بلغني انك تحرض الناس على . وكيف ذلك ؟ قال عثمان : انك لا تقرأ في المسجد إلا (والذين يكفرون الذهب والفضة ..) فأجاب أبو ذر : أينماني عثمان عن قراءة كتاب الله ؟ وعيب من ترك امر الله ؟ فوالله لان أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لي من أن أسخط الله برضاه . فبان الغضب على وجه عثمان ولكنه لم يدر بم يرد عليه فلزم الصمت وخرج أبو ذر وهو أكثر عزمًا على عيب من ترك أمر الله . وأخيرًا لم يمتثل الخليفة عثمان وجرد الصحابي الجليل والزاهد الكبير أبي ذر الغفاري والذي قال في حقه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ما اقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ، صدق رسول الله ، فاصدر عثمان بن عفان أمرًا بان يترك الصحابي الجليل المدينة ويلحق بالشام .

وما أن وصل الشام إلا ورأى عجبا ، رأى معاوية مطلق اليد في أموال الخزينة ، وجهود الناس ورقاب المسلمين فازداد هذا المصلح الثائر سخطًا وثورة ، ولما بنى معاوية قصره المعروف بالخضراء في الشام بعث إلى معاوية بقوله له : يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الحيانة وإن كانت من مالك فهي الاسراف .

ولم يرد معاوية على الصحابي الجليل ، ودخل أبو ذر المسجد فجلس ، وأقبل بعض نفر من المسلمين يشكون معاوية لأبي ذر ويخبرونه أنه انقضى الحول ولم يعطهم عطاءهم ، فاطرق أبو ذر قليلا ثم نهض فتطلع إليه الناس وقال :

لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إنني لأرى حقا بظفاً ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا ، واثرة بغير تقى .

يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء ويشير إلى الذين يكفرون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله بمكرو من نار تكوى بها جباههم وخنوبهم وظهورهم ، يا كانز المال اعلم ان في المال ثلاثة شركاء ، العدو لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم ، وأنت الثالث ، إن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكون ان الله عز وجل يقول ( ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) يا كانز المال ، ألا تعلم انه إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : من صدقة جارية أو هلم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له ، قال صلى الله عليه وآله وسلم ( إن ربي عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ، واسكن أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فاما اليوم الذي أجوع فيه فانزع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فاحمدك وانى عليك ) . اتخذتم ستور الحرير ونضائد الديباج ، وتألتم الاضطجاج على الصوف الأزدي وكان رسول الله ينام على الحصير ، واختلف عليكم بالوان الطعام ، وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير .

يا كانز المال إلا تعلم انه ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً .  
استمع الناس اليه فوالع الفقراء به وأحاطوه برعايتهم واكرامهم وتقديرهم ، وأوجس الأغنياء منه خيفة فصاروا يوشون به ويوغرون السلطة عليه .

فأرسل معاوية في طلب أبي ذر وعاتبه عتاباً شديداً وحذره من عاقبة مسلكه هذا ، فأجابه أبو ذر بقلب ثابت ولسان طلق : والذي نفسي بيده لا أرجع حتى يبذل الأغنياء المعروف ، وخرج أبو ذر وأطرق معاوية وقلب وجهات الأمر فاهتدى الى ما يهتدى اليه الساسة المخادعون في كل مكان وزمان ، فامر باحضار صرة بها ثلاثمائة دينار ونادى أحد خدمه وأمره أن يلحق بابي ذر وأن يعطيه الصرة ، فأسرع الخادم خلفه ولما لحق به في الطريق قال له :

إن معاوية بعث اليك بهذه . فنظر أبو ذر الى اليد الممدودة بالصرة وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها . وظل الخادم واقفاً والصرة في يده فقال أبو ذر : ردها عليه ، لا حاجة لي فيها .

وانطلق ابو ذر الى المسجد فنادى بالناس :

يا معشر الأغنياء أنفقوا بما أعطاكم الله . ولا تفرنكم الحياة الدنيا وأجعلوا في أموالكم حقاً للسائل والمحروم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أهاكم النكائر ، يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مال إلا ما اكلت فأفقيت ؟ أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ؟ يا معشر الأغنياء لقد نهى الله عن الكنوز . . . الى أن قال : ان أموال الفقىء من حقوق المسلمين ، وان كان معاوية قد احتجتها ليصرفها على خدمه وحراسه . وابنته ، ونسى معاوية أنه لا يحمل له من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء ، وحلة للصيف وما يحج به ويعتبر قوته وقوت أهله كرجل من قريش ، وقال ابو ذر : إن مال الفقىء يجب أن يقسم على المسلمين . . . وأصبحت الضياع والدور تفتى ويصرف لتجميلها آلاف الدنانير ويترك المسلمون .

هذه الكلمات المطلقة من فم هذا الصحابي الكريم انها والله لتنتطق بالحق ومن غير أبي ذر يقول هذا وهو الذى قال عن نفسه : أوصاني خليلي أن أقول الحق ولو كان مراً والا أخشى في الله لومة لائم وانى أدعو دعاءه اللهم انى أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ من أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر .

إن هذه الكلمات أفضت مضجع معارفة ، وراحت تلك الكلمات الثورية طريقها في الدروب والبيوت والى المساجد والمجالس ، فكان هذا الصحابي الثائر ، أفاق الناس من سبات عميق وأعاد لهم ذكريات الايام الطيبة أيام الرسول العظيم وأيام الحكم الديمقراطي الذى استهدف تطبيق العدالة ونشر المساواة . . . واستمر أبو ذر يهاجم الأغنياء ويطالب بمواساة الفقراء وتوزيع المال على المسلمين . . . فطلب معاوية مقابله فحضر ابو ذر قصره المنيف ، وامتنع الصحابي الجليل أن يشارك معاوية في طعامه الذى حوى ما لذ وطاب ، وقال معاوية له : يا أبا ذر لقد اشتكى الأغنياء منك وقالوا انك تقلب ثير الفقراء عليهم . فقال ابو ذر . . . انى انما هم عن الكنز . قال معاوية ولم ؟ قال ابو ذر . . . اقوله تعالى

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ) .

قال معاوية : ان هذه الآية نزلت في أهل الكتتاب .

فقال أبو ذر : بل فينا وفيهم .

فقال معاوية : إني أمرك أن تكف ، فقال أبو ذر : والله لا استمرن على دعوة الناس الى الزهد وعلى تحذيرهم الكفر ولا بشرن الكافرين بعذاب النار .

قال معاوية : خير لك أن تنتهى عما أنت فيه . فقال أبو ذر : والله لا انتهى حتى توزع الأموال على الناس كافة ، فقال معاوية مهدداً : يا أبا ذر هذا فراق بيني وبينك ، فحاذر . فقال أبو ذر قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

وفي يوم الجمعة صعد معاوية المنبر يخاطب الناس فقال : إنما المال مالنا والفقير فقيرنا فن شئنا أعطيناها ومن منعهنا؟ فقام إليه رجل من الحاضرين فقال — كلا — إنما المال ما لنا والفقير فقيرنا فمن حال بيننا وبينه حاكناه الى بأسيفنا .

فأطرق معاوية ، وعلم انه ما لقنه ذلك إلا أبو ذر ، فذهب رجل من أهل معاوية الى أبي ذر يهدده ويتوعده ويحذره فما قاله ذلك الرجل : لا توغر صدور الناس علينا ولا تكن من دعواك .

فأجابه أبو ذر : والله لا اكون حتى يوزع على جميع المسلمين .

فقال الرجل : والله انا نعلم؟ لحساب من تعمل والله إن لم تكفه لنصين عليك سوط عذاب .

فأجابه أبو ذر : والله لا اكف حتى ترجعوا الى كتاب الله .

فقال الرجل بعدها ومتوسلاً بوسائل الأغرا : نكلتك امك ، إن هليا لا يستطيع أن يجزيك أو يمنع عنك أذانا ، أما معاوية فأمواله كالبحر الزاخر وهي طوع بنائك . فأجابه الصحابي الجليل ، لا حاجة بي الى أموالكم ، واني لا أطمع إلا في رضى ربي وما عند الله .

قال الرجل : لقد أعذر من أنذر ، انك تسير الى حتفك بظلمك .

فأجابه أبو ذر : الموت أحب الى من الحياة .

هذا هو الصمود والثبات من أجل العقيدة والمبدأ ، صلابة الرأي ومضاء في

المرجة تتجلى فريدة نادرة في حياة هذا الزاهد .

واخيرا اقدم أصدر الخليفة عثمان امره بأن ينقل ابو ذر الى المدينة على بعير عليه قتب  
 يابس ومعه خمسة من الصحابة يطرون بالزاهد الشيخ المسن ولا يدهونه يستريح ،  
 حتى تسليخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف واصابه كرب شديد فأطرق وقد ارتسم على  
 محياه الالم وحز في نفسه ان يلقي كل هذا البلاء لانه يدعو الى المعروف واتباع ما جاء  
 به كتاب الله ، ثم تذكر هذا الصحابي الجليل يوم كان يسير مع النبي ( ص ) في دروب  
 يشرب وقد قال له الرسول : ( يا ابا ذر انك رجل صالح وسيصيبك بلاء بهدي )  
 فيسأل : في الله فيجيب الرسول الكريم : في الله ، فيقول ابو ذر : اذا مرحباً  
 بأمر الله ، فامتلاً قلبه ثباتاً واطمئناناً .

ودخل ابو ذر على عثمان ، وجرى بينهما كلام طويل ، كان ابو ذر كما همدناه  
 رجلاً ثابت الجنان طلق اللسان قوى العزيمة لا يتراجع عن كلمة الحق فاصدر عثمان بن  
 عفان بأن ينفي الصحابي الكبير الى الربذة بعد ان يثس باستمالة ابي ذر ، وامر ان لا يسمح  
 لاحد بتوديعه فخاف بعض الناس من حقد الخليفة عليهم وتكيد مروان بن الحكم  
 بهم ، ولكن خمسة من كبار المسلمين ومن النجوم المتألقة في دنيا الاسلام وقتذاك  
 خرجوا الى توديع الرجل الشيخ ، الصحابي الكريم تقديراً لمواقفه واجلالاً لمكانته  
 ووفاء لصحبته اولئك الخمسة الامام على بن ابي طالب وعقيل بن ابي طالب والحسن والحسين  
 وعمار بن يامر ، وكان مروان بن الحكم رأس الفتنة ومصدر الشرور والمساوىء يشرف  
 على عملية نفي هذا الصحابي الجليل ، فنفذ امر عثمان بمنع الناس عن تكليمه او توديعه  
 وقد حاول منع الامام على ومن معه ، فنهزه الامام على وطرده اذ بادره بالسوط  
 وهتف يقول -- تنج نحاك الله الى النار ، ومضى على واصحابه مع ابي ذر حتى بلغوا  
 الربذة فنزلوا عن رواحلهم وجلسوا يتحدثون وحان وقت الوداع فنهض على واحس  
 ابو ذر غضبه في حلقه وضم علياً الى صدره ، فانهمر الدمع من عينيه وغمغم . رحمكم  
 الله اهل البيت اذ ارايتك ابا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 وكانت نهاية ابو ذر مؤلمة محزنة ذلك الرجل الذي تغفلت في عروقه مبادئ  
 الاسلام السامية ، واستقرت في قلبه حبة بقضة ، ففي تلك الغلاة التي نفاها اليها

عثمان بن عفان بقى مع زوجته بعد وفاة اولاده اياما لا ياكلان شيئا ، فأصابه النحول الشديد وطفح يمسح العرق الذى ينضح رغم البرد الشديد ، ونظرت اليه زوجته واذا بعينييه قد انقلبتا فبكت ، قال - ما يبكيك ؟ فقالت ما لي لا ابكى وانت تموت في فلاة من الارض وليس عندي ثوب يسعنا كفننا لي ولا لك ، ولا بد لي من القيام بمهازك فاشفق الشيخ عليها وقال لها وقلبه يقطر اسى ، اذهبي فتبصرى الطريق فان رأيت أحد فدئ الكساء على وجهى وضعينى على قارعة الطريق وقولى لأول ركب يمر بك : هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد قضى نحبه وافى ربه فأعينونى عليه .

فبينما هى ترسل نظرها الحزين فى الافق الغاشم رأت من بعيد قافلة قادمة فلاحت ثوبها فاقبلوا اليها وحكت لهم قصة ابى ذر الغفارى ، فجاؤا الى الشيخ المحتضر الذى قال لهم : والله ما كذبت ، ولو كان عندي ثوب يسعنى كفننا لى ولا موتى لم اكفن الا فى ثوب هولى او لها ، وانى انشدكم الله ان لا يكفننى رجل منكم كان أميراً او حريفاً او بريداً او نقيبا . فنظر القوم بعضهم الى بعض حائرين اذ لم يكن فيهم أحد الا وقد فارق من ذلك شيئا إلا قى من الانصار قال له : انا اكفنك يا عم فى ردائى هذا الذى اشتريته بمال كسبته بعملى ، وفى ثوبين من غزل امى حاكتهما لى كى احرم فيهما . فقال : أنت الذى تكفننى فثوبك هو الثوب الطاهر الحلال . وكان أبو ذر قد اطمأن الى هذا القول وسكن فاعمض عينيه ولفظ أنفاسه الطاهرة فى هدوء وتسلميه وهكذا مات أبو ذر بطل الاسلام الخالد وزاهد الكبير والشائر الذى افض مضاجع الحكام المستبدين والطغاة الجشعين ، ذلك القلب النابض بالايان والعقيدة السليمة ، وتلك النفس الالوية التى ابت أن تستلين للبطش وتتماون مع الباطل ، عاش أبو ذر يدافع عن الحق وعن اصول الاسلام؟ ونصيراً للامام على ولم ير احداً افضل وأحق منه .

رحم الله ابا ذر فقد كان مسلماً بكل ما فى الاسلام من معانى الاخلاص والصدق والنزاهة والعفة والوفاء لحب الخير للانسانية .

قد اكون اطلت الحديث المختصر ، وانى سأختمه بالحديث بإيجاز عن شخصية

اسلامية كبيرة عاشت حياتها من أجل رفعة الاسلام والدفاع عن كيانه وكان رضى الله عنه طرازا فريدا من الحيوية والنشاط ومثلا رائعا للتضحية والفداء وعنونا صادقا للنصرة والوفاء. كان من أشد انصار الامام واعظمهم حبا لآل البيت ، هو عمار بن ياسر ، ذلك الصحابي الجليل الذى نشأ فى بيت قام على الجهاد والفداء من أجل الدعوة ، قتل المشركون اياه وأخاه وانه ابن سمية المرأة المجاهدة المسلمة التى كانت تحث من أجل اهلاء كلمة الاسلام وجاهدت كلمة من أجل ان تبقى كلمة الله هى العليا وظلت هذه المرأة تجاهد وتكافح حتى مر بها يوما طاغية قريش الكبير أبو جهل ووجد هذا الطاغى ثبات سمية وصمودها ، تمزأ لأفعال قريش وتدهو الله عز وجل ان يهديهم طريق الصواب ، اجل رأى أبو جهل هذه المرأة المسلمة فتطأير الشرور البغيضتين وبان الحقد فى وجهه الكريه ونظر الى سمية شررا فرفع يده شلت يمينه وضرب سميه بجريرة كانت معه فاستقرت تلك الحربة فى قلبها المؤمن وسال الدم الزكى دم المرأة المجاهدة المسلمة الصامدة وضوت ام عمار بن ياسر آفلة افول الثريا ، شهيد الفكر السامية شهيدة من أجل ان يبقى الاسلام ديننا للانسانية ومن أجل ان تبقى المبادئ السامية مبادئ لكل حر كريم ، وكانت ام عمار أول شهيد فى الاسلام ضربت بثباتها وصمودها واستشهادها أروع مثل للمرأة المجاهدة من أجل الحق والعدالة .

فى هذا الوسط الرائع من التضحيات والمواقف العظيمة نشأ عمار ، أخلص أصحاب الامام على وأصدقهم فى الدعوة إلى حق آل البيت ، لانه بحق الاصرار المنتقطع النظير على ما يراه حقا والاندفاع إلى أقصى الاندفاع والتضحية بالنفس فى سبيل المبدأ وعمار الصحابي الجليل عاش مع الامام إلى وقت مات فيه الكثير من أنصاره الميامين أمثال المقداد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان وغيرهم من اصحاب الذين ناصروا الامام ووقفوا الى جانبه ودهروا إلى تأييده والمطالبة بأحقية وعدالة مطالبه .

ان المثل العربية والاسلامية جسدت فى أخلاق ابن ياسر وقد اكرمه الرسول الكريم فى أقواله بحقه وقال ( ص ) : وان ابن سمية لم ينخر بين أمرين الا اختار ارشدهما



وقال ( ص ) بدور الحق مع عمار حينما دار وبيدع ، من أحد اخواننا الباحثين حين لقب عمار بن ياسر بأنه من أشد حراس الاسلام مراسا وأكثرهم عنادا في المحافظة على مبادئه وسنته وان هذا يفسر لنا نصرته لعل وموالاته الشديدة له ، فقد كان عمار الامام ، ملك المساكين وأمير المستضعفين الذي يحفظ المسلمين الحقيقيين مكائهم وكرامتهم ، ولهذا قال عمار في علي ( ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك اماما ) .

إن مواقف عمار بن ياسر عديدة وكثيرة من أجل رفعة الاسلام ، وإن مواقف عمار منذ نطق بالوحدانية كان إلى جانب سيدنا علي ، ذلك لأنه وجد في علي الصورة الصحيحة والمثل الكامل للمسلم المؤمن صدقا وإخلاصا ونزاهة .

وانني سأختار موقفا واحداً من مواقفه المشرفة التي تعطي صورة حية ناطقة انصرة هذا المسلم الكبير للحق ، في سنة ٣٧ هـ وقعت موقعة صفين بين جيش الامام علي ( ع ) ومرزوقه معاوية بن أبي سفيان وشارك في المعركة عمار بن ياسر وكان قد نيف على التسعين ، وقد شوهد عمار بن ياسر يقاتل في صفين كأنه شاب في العشرين ، كان رحمه الله يحارب تجاه عمرو بن العاص وهو يرتجز : نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله وكان يقول وهو مشيراً إلى راية عمرو بن العاص : والله لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثلاث مرات وهذه الرابعة وما هي بأبرهن .

ويقال انه استسقى قبل أن يقوم على الموقعة التي قتل فيها ، فجاءه بشيء من ابن فلان رأه كبر وقال : وانبأني رسول الله أن آخر زادي من الدنيا ضييح من ابن ثم شربه واندفع الى الموقعة وهو يدعو أصحابه من رائح الى الجنة ؟ الجنة تحت البوارق ، الماء مورود اليوم ، غدا التي الاحبة : محمداً وحزبه .

وكان عمار يشجع المقاتلين ويحثهم على القتال ، وشق الصفوف يقاتل ببسالة وشجاعة وظل هكذا حتى استشهد وانطفأت تلك الشعلة الوضاعة من الروحانية الاسلامية النخالة . أجل استشهد بطل الاسلام الكبير ونصير الامام المخلص ، الذي وهب حياته